مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 25 عدد: 55 السنة: 2021

الكنيسة الإفريقية بين الاستقلالية والتبعية مع بداية الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم

The African Church between independence and dependency with the beginning of the Byzantine occupation Of the ancient Maghreb

طويل عماد[1]
جامعة محمد لمين دباغين –سطيف2
touilimad429@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/04/01 القبول 2020/12/23 النشر على الخط 2021/03/15
Received 01/04/2020 Accepted 23/12/2020.Published online 15/03/2021

ملخص:

ومن المواضيع التي لم تلقى اهتماما كبيرا من طرف الباحثين نجد الدراسات التي تتكلم عن المسيحية وعن الكنيسة الإفريقية ومكانتها في ضل الاحتلال البيزنطي لإفريقيا الشمالية .

نهدف في هذا المقال إلى البحث عن انتشار الديانة المسيحية ومعرفة مكانة الكنيسة ورجال الدين المسيحيين في فترة الاحتلال البيزنطي لإفريقيا، خاصة الفترات الأولى من الاحتلال ونخص بالذكر فترة الإمبراطور جوستينيان بالخصوص والأوضاع الصعبة التي عرفتها الكنيسة ورجال الدين طيلة فترة الاحتلال الوندالي لإفريقيا لمدة تزيد عن القرن من الزمن، وللوصول إلى استنتاجات منطقية وموضوعية اعتمدت على مختلف المصادر المادية والكلاسيكية المتوفرة لدراسة الفترة، معتمدا في استنطاقها ودراستها المنهج السردي التحليلي المقارن .

الكلمات المفتاحية: المغرب القديم، الكنيسة، الفصول الثلاث، الاحتلال، الاستقلال.

Abstract :

In this article, we aim to search for the spread of Christianity, knowledge of the position of the church, and the departure of the Christian religion in the period of the Byzantine occupation of Africa, especially the first periods of the occupation, especially mentioning the period of Emperor Justinian in particular and the difficult situations that the Church and the clergy knew throughout the period of the Vandal occupation of Africa for more than a century Time, and to reach logical and objective conclusions, depended on the various material and classic sources available for the study of the period, relying on exploring and studying the comparative narrative approach.

Key Words : Ancient Morocco, the church, the three seasons, occupation, independence.

[1] – المؤلف المرسل: عماد طويل البريد الإلكتروني: touilimad429@gmail.com

مقدّمة:

عبد سكان بلاد المغرب القديم منذ العصور القديمة العديد من الظواهر الطبيعية ومختلف الآلهة المحلية منها والوافدة إلى غاية مجيء الفنيقيين والإغريق الفترة التي عرفت فيها المنطقة تأثيرا وتأثرا بالآلهة الموجودة في تلك الفترة والى غاية الاحتلال الروماني، حيث سعت فيه روما بكل ما أوتيت من قوة إلى فرض آلهتها ومعتقداتها الدينية الوثنية على كامل المناطق التي سيطرت عليها واحتلتها بما في ذلك منطقة شمال إفريقيا التي كان بمثابة الأرضية الخصبة لتجسيد الحضارة الرومانية وتطبيق سياسة الرومنة فيها.

من العوائق الكبيرة التي واجهت الرومان في الشمال الإفريقي القديم نجد انتشار الديانة المسيحية، وهذا في وقت مبكر – قبل أن تتبنى روما المسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية مع بداية القرن الرابع ميلادي– وهناك من يرجع انتشار المسيحية في إفريقيا إلى القرن الأول للميلاد وذلك عن طريق التجارة والإرساليات التبشيرية التي كان يقوم بها مريدي المسيحية في الشرق والغرب .

حاربت روما وبشكل كبير انتشار المسيحية في إفريقيا وقامت بجميع أشكال التقتيل والتعذيب والنفي في حق كل من تسول له نفسه اعتناق المسيحية، وسنت القوانين التي تحرم وتجرم ذلك طيلة الثلاث قرون الأولى للميلاد، إلا أنها لم تستطع إيقاف انتشارها في أوساط السكان المحليين، إلى أن تم الإعلان رسميا على اتخاذ المسيحية دينا رسميا ووحيدا للإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور قسطنطين مع بداية القرن الرابع للميلاد، فأصبح بذلك لرجال الدين ولمعتنقي المسيحية كامل الحقوق في ممارسة شعائرهم الدينية ونشر الديانة المسيحية بإيعاز من الإمبراطور الروماني.

غير أن المسيحية لم تنتشر بشكل كبير كما أريد لها ولم تثبت في نفوس السكان المحليين في إفريقيا بسبب السياسة التعسفية للسلطة الإمبراطورية وظهرت بذلك مذاهب مسيحية أخرى في المنطقة لقيت رواجا وإقبالا كبيرين من طرف السكان المحلين، نقصد بالذكر المذهب الدوناتي الذي استطاع فرض نفسه ومبادئه على السلطة فأصبح في بلاد المغرب كنيستين دوناتية وكاثوليكية، الأمر الذي اضعف من انتشار المسيحية بشكل واضح في المنطقة وأدى ذلك إلى الرجوع إلى الوثنية في كثير من مناطق إفريقيا .

وأمام الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية في كامل المجالات انعكست عن المجال الديني وانتشار المسيحية وفرض هيبتها على السكان الرومان والمترومنين أوالمحليين في بلاد المغرب وبقيت الأوضاع الدينية متوترة إلى أن سقطت روما في بلاد المغرب مع بداية القرن الخامس ميلادي على يد القبائل الوندالية التي كانت تدين بالمذهب الاريوسي، التي سعت هي الأخرى إلى القضاء على المذهب الكاثوليكي الروماني القديم، وبسقوط الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الخامس للميلاد على يد القبائل الجرمانية القوطية تقلص دور المسيحية والمسيحيين في كامل المناطق التي كانت تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية الغربية .

وما نهدف إليه في هذا المقال هوالبحث عن انتشار الديانة المسيحية ومعرفة مكانة الكنيسة ورحال الدين المسيحيين في فترة الاحتلال البيزنطي لإفريقيا، خاصة الفترات الأولى من الاحتلال ونخص بالذكر فترة الإمبراطور جوستينيان بالخصوص والأوضاع الصعبة التي عرفتها الكنيسة ورجال الدين طيلة فترة الاحتلال الوندالي لإفريقيا لمدة تزيد عن القرن من الزمن، وللوصول إلى استنتاجات منطقية وموضوعية اعتمدت على مختلف المصادر المادية والكلاسيكية المتوفرة لدراسة الفترة، معتمدا في استنطاقها ودراستها المنهج السردي التحليلي المقارن .

للبحث في موضوع الديانة المسيحية والكنيسة الإفريقية في ظل الاحتلال البيزنطي نطرح مجموعة من الإشكالات: ما هي الأوضاع التي مرت بها المسيحية ورجال الدين في إفريقيا قبل الاحتلال البيزنطي؟ وهل كان للمسيحية والكنيسة الإفريقية مكانة في ظل الاحتلال البيزنطي ؟ وما هي المؤشرات التي تؤكد استرجاع قوة ومكانة الكنيسة مع بداية الاحتلال البيزنطي ؟ وكيف كان التنظيم الإداري الديني الذي عرفته الكنيسة في العهد البيزنطي ؟ وهل كان للكنيسة الإفريقية دورا وتأثيرا في حل النزاعات والصراعات الدينية خارج إفريقيا أم لا ؟ وما هوموقف الكنيسة الإفريقية من أزمة الفصول الثلاث في عهد الإمبراطور جوستينيان ؟ وكيف كانت الحياة الدينية بصفة عامة في إفريقيا في فترة الاحتلال البيزنطي للمنطقة ؟

1. الأوضاع الدينية في شمال إفريقيا قبل الاحتلال البيزنطي 533 :

من المصادر التاريخية المهمة التي أمدتنا وذكرت أحداث شمال افريقيا الدينية في فترة الاحتلال الوندالي والذي يعالج موضوع الكنيسة والاضطهاد الذي تعرضت له الكنيسة المسيحية ورجالها الكنسيين من طرف السلطة الوندالية نجد رسائل الأسقف فيكتور الفيتي (Victor de vita)* والمعنونة بتاريخ الاضطهاد في المقاطعة الإفريقية (L'Histoire de la persécution de la province d'Afrique)، وقد ظهر هذا الكتاب في بداية القرن التاسع عشر يذكر فيه الكاتب مختلف الأحداث الدينية التي عاشتها الكنيسة بشمال إفريقيا ورجال الدين الكاثوليك في ضل الاحتلال الوندالي[1].

وإذا سلمنا بأقوال فيكتور دي فيتا والذي يذكر بان تحركات الوندال من الغرب إلى الشرق بين 429م و435م فإنهم كانوا يتوسعون من الغرب إلى الشرق وفي طريقهم ينهبون ويدمرون كل ما جاء في طريقهم ومن ذلك الكنائس ورجال الدين والقساوسة، حيث تعرض السكان إلى العذاب والتقتيل ولم يسلم من ذلك لا الرجل المدني ولا الرجل الديني واستمر الوضع على حاله ضد رجال الدين والكنيسة إلى غاية 439 م[2].

يذكر في ذلك موديرون نقلا عن فيكتور الفيتي أن منطقة شمال إفريقيا في العهد الوندالي عرفت استبدادا وتسلطا وظلما كبيرين من طرف السلطة الوندالية ضد سكان المنطقة وضد رجال الدين المسيحيين الكاثوليك والرومان، ويضيف كورتوا في كتابه "إفريقيا واظطهاد الوندال" أن الإظطهاد الوندالي لم يبدأ في فترة الملك الوندالي جنسريق لأنه أراد أن يسيطر على المنطقة أولا ويضمن

---

[1]- Modéran .y, Un guerre de religion, 2003, p21-22

(*)- **فيكتور الفيتي** (Victor de le vita) الشاهد الأساسي في الاضطهادات الوندالية ضد الكاثوليك ورجال الدين المسيحيين بالشمال الإفريقي، عاش هذا الأخير في مقاطعة البيزاكينا في حدود القرن الخامس ميلادي وقد شاهد هذه الإضطهادات بحضوره، خاصة وأنه رجل ديني.ويذكر فيكتور الفيتي Victor de le vita حسب لونسال (Lancel) أن أول من عانى من الاضطهادات الوندالية منذ البداية كان الأساقفة ورجال الدين المسيحيين وهم من لقي أشد العذاب والتنكيل خاصة في فترة الملك جنسريك وإبنه هنريك.**انظر**:

- Lancel. S, , Victor de Vita témoin et chroniqueur des années noire de l'Afrique romaine au 5 ème siècle,2000, p119

[2] - Modéran.y, Les Maures et L'Afrique Romaine (4ème -7ème siècle),éd EFR, Paris,2003 , p24

الاستقرار والأمن لشعبه وتنظيم شؤون مملكته أولا ثم الشروع في سياسته الدينية القمعية ضد الكنيسة ورجال الدين الكاثولية والعمل على نشر المذهب الأريوسي الوندالي [1].

حيث نجد أن الصراع الديني للسلطة الوندالية ضد الكنيسة الإفريقية ورجال الدين عرفت نوع من الاستقرار في البدايات الأولى من الاحتلال نذكر مثلا ما بين 454م و457م، كما سمحت السلطة الوندالية لرجال الدين المسيحيين والأساقفة باختيار أسقف قرطاج، لكن هذه السياسة لم تدم طويلا واستمرت سياسة الإضطهاد والتنكيل برجال الدين بعد وفاة جنسريق حيث عرفت الأوضاع مرحلة جديدة واستثنائية خطيرة ضد رجال الدين عرفت بمرحلة الإضطهاد، وقد أعطى رجال السلطة الوندالية الأوامر بإضطهاد وقتل رجال الدين ومن المحتمل أن ذلك كان في المقاطعة البروقنصلية وحدثت اغتيالات كثيرة في كل المملكة الوندالية في الشمال الإفريقي[2].

حيث عرفت الكنيسة الإفريقية أبشع اضطهاد ضد رجال الدين في عهد هنريك (Hunéric) ابن جنسريق، حيث أراد أن يؤسس دولة مستقرة تعيش بسلام في ضوء الديانة الأريوسية،لذلك عمل منذ البداية على اضطهاد ومتابعة رجال الدين الكاثوليك خاصة بعد الإضطهادات التي تعرض لها الاريوسيون في مناطق أخرى من العالم، وهوالسبب الذي دفعه إلى الثأر ربما والتنكيل برجال الدين الكاثوليك من قساوسة، أساقفة ورهبان وكل من يعتنق الديانة المسيحية من رجال ونساء فلم يسلم أحد من هؤلاء من التنكيل، كما قام بحرق وتدمير الكنائس الكاثوليكية.

وقد تعرض رجال الدين إلى أشد العذاب حتى الموت حرقا ومنهم من تم قيادتهم إلى الصحراء وقتلهم هناك، ويقدر بعض الباحثين العدد ومنهم مورسي Mercier بحوالي 4976 شخص في هذه الموقعة[3]، وعرفت بذلك منطقة الشمال الإفريقي مجموعة من الصراعات الدينية في فترة الاحتلال الوندالي ضد المسيحيين سواء كانوا رومان أومن سكان المنطقة الأصليين، وذلك بعد صراعات دينية طويلة خلال القرن الثالث والرابع ميلادي خاصة بعد ظهور الدوناتيين أوما يسمى "بالحركة الدوناتية" التي وقفت ضد السلطة الإمبراطورية ورفضت الرضوخ والعمل تحت جناحها وقد استمرت هذه الصراعات الدينية إلى فترة الاحتلال الوندالي لشمال إفريقيا سنة 429م وهوالشيء الذي سوف يضع رجال الدين المسيحيين في مشكلة أكبر وأشد وأعنف وهي مشكلة الاحتلال الوندالي وكيفية التعامل معه في ظروف الحفاظ على الديانة المسيحية ومحاربة ديانة المستعمر الجديد أي الديانة الاريوسية[4].

3- Modéran. Y, L'Afrique et la persécution vandales, éd errance, Arles, 2014.p252

[4]- Modéran.y, p25

[3] -Mercier. E, Histoire de l'Afrique septentrionale, T1, Paris, 1888,p151

[4] - Modéran.y Les Maures et L'Afrique Romaine, op-cit, p23

ويقول كل من كورتوا Courtois وشميت Schmidt أنه لا يصح القول عن الأحداث التي جرت بين المسيحيين والسلطة الوندالية في شمال إفريقيا بإظطهادات، وقد اعتبرا ذلك على أنه حرب دينية أوصراع بين مذهبين مختلفين بين المسيحية والأريوسية وأنه صراع بين كنيستين وليست إظطهادات كما يقول ويريد أن يروج إليه الكثير من المؤرخين[1].

أما في فترة حكم الملك تراسامونـد (Trasamonde) (496 م-523 م) فقد تغيرت أوضاع رجال الدين والكنيسة نوعا ما حيث سمح بممارسة الشعائر الدينية في مقاطعة البيزاكينا وفي الأديرة التي عرفت تطورا لم يسبق له مثيل وهذا ما يجعلنا نتساءل ما هوالغرض من السياسة الوندالية إتجاه السلطة الدينية فتارة نجدها تقوم بإبعاد رجال الدين ونفيهم ربما قتلهم وتارة تسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية ؟.

هذا ويؤكد موديران (Modéran) أن الوندال عندما احتلوا شمال إفريقيا لم يكن الهدف من ذلك هوضم المنطقة واستغلالها اقتصاديا فقط بل كان لهم هدفا أكبر من ذلك وهونشر الديانة الأريوسية في المنطقة، لذلك فقد سعوا بكل ما أوتوا من قوة إلى محاربة الكاثوليكية ورجال الدين المسيحيين وحاولوا استبدال الدين المسيحي الكاثوليكي بالديانة الأريوسية في الشمال الإفريقي[2]

ويمكن القول أن هدف الوندال بعد أن تم احتلال جزء من شمال إفريقيا أصبح الهدف ديني أكثر منه إقتصادي أي نشر المذهب الأريوسي في منطقة الشمال الإفريقي وقد باشر تطبيق ذلك الملك جنسريق (Genséric) وخلفاءه من بعده حتى تكون الديانة الأريوسية هي الديانة الأولى والرسمية في الشمال الإفريقي وحاول أن يفرض سلطته بفرض الديانة الأريوسية في المنطقة.

وما يؤكد ذلك هوإستراتيجية الملك جنسريق حيث عمل منذ إعتلائه العرش على مصادرة أملاك رجال الدين المسيحيين خاصة في مقاطعة البروقنصلية وعمد إلى غلق الكنائس ومصادرة أملاك الكنيسة والتفريق بين العائلات الكبرى وذلك توزيعهم إلى كتل صغيرة تنشط في بعض المناطق الريفية وأصبح رجال الدين الأريوسيين موزعين في كامل الأقاليم التي سيطر عليها الوندال في الشمال الإفريقي.

يمكن القول أن رجال الدين الأريوسيين ورغم كل التسهيلات والدعم الكبير من السلطة الوندالية لم يتمكنوا من احتلال جميع الكنائس الكاثوليكية سواء في المدن أوالأرياف، فقد بقي بعض من رجال الدين الكاثوليكي يسيطرون على الكنائس المسيحية ولم تستطع الإدارة الوندالية انتزاعها منهم، حيث بقيت بعض الكنائس الدوناتية والكاثوليكية تصارع وتقاوم الوندال في المناطق الجبلية من نوميديا، وقد منعت السلطة الوندالية سكان الشمال الإفريقي من ممارسة الشعائر الدينية المسيحية ومن أمثلة ذلك وفي سنة 457 م منعت السلطة الوندالية الحفلات الدينية في البروقنصلية مما أدى إلى النهوض وردود فعل ضد السلطة الوندالية من

[1]- Modéran.y, L'Afrique vandale byzantine, T XI, revue international d'histoire et d'archéologie (4ème-8ème siècle), France, 2003, p23

[2]-Modéran.y, Les Maures et L'Afrique Romaine,op-cit, p30

السكان حيث دعا كاهن نوميديا إلى الإحتفال وقرر أن يحدد يوما للعيد والإحتفال رغم معارضة السلطة الوندالية ومصادرة املاك الكنيسة ونفي رجال الدين[1]

ونفهم من ذلك أن الصراع الديني بين الكاثوليكية والأريوسية كان على أشده ولم تهدأ الأوضاع إلا فترات قليلة ذلك أنه حتى وإن سقطت السلطة السياسية الرومانية في شمال إفريقيا إلا أن السلطة الدينية لم ترضخ للاستعمار الوندالي وبقي رجال الدين يمارسون الشعائر المسيحية رغم كل العراقيل والصعوبات المسلطة عليهم من الإدارة الوندالية إلى غاية الاحتلال البيزنطي سنة 534م.

2. أوضاع الكنيسة الإفريقية مع بداية الاحتلال البيزنطي :

إذا ما تتبعنا الوضعية أوالحالة التي كانت سائدة ببلاد المغرب مع نهاية الفترة الوندالية وبالتحديد في فترة حكم الملك الوندالي هلدريك (Heldéric) يمكن القول أن الكنيسة الإفريقية في هذه الفترة عرفت نوع من الاستقرار والاستقلالية في ممارسة الشعائر الدينية الكاثوليكية أي عكس الإضطهادات والاغتيالات التي تعرضت لها الكنيسة الإفريقية ورجال الدين في فترة حكم الملك الوندالي جنسريك (Genséric) وإبنه هنريك (Hénric) [2].

وما يؤكد الإستقرار الذي وصلت إليه الكنيسة الإفريقية في فترة الملك هلدريك هوذلك المجمع الديني الذي كان في العاصمة قرطاج سنة 525م حيث ومن خلال هذا المجمع ومن القائمة الموقعة من طرف الأساقفة الحاضرين في هذا المجمع الديني يمكن أن نعرف حالة الكنيسة الإفريقية في هذه الفترة الأخيرة من الاحتلال الوندالي للمنطقة حيث أن أغلب الأساقفة كانوا ينتمون أومتواجدين بكثرة في المقاطعة البروقنصلية وكان عددهم ثلاثة واربعون أسقف من أصل واحد وستين أسقف، أما المقاطعة النوميدية فيتركز فيها حوالي عشر أساقفة، والمقاطعة الطرابلسية ما بين اثنين وثلاثة أساقفة وواحد في مقاطعة موريطانيا القيصرية أما الأقاليم الأخرى فنجهل عدد الأساقفة الذين كانوا موجودين في هذه الأقاليم[3].

وفي هذا المجمع الديني الذي أقيم بقرطاج نلاحظ غياب أساقفة مقاطعة البيزاكينا ربما ذلك راجع إلى الصراع الذي كان قائما بين قرطاج والبيزاكينا أي بين رجال الدين في هذا الوقت، ومن هذا المجمع الديني يمكن القول أن الكنيسة الإفريقية طيلة الفترة الوندالية لم تتوقف عن التبشير ونشر المسيحية وممارسة الشعائر الدينية والتنسيق بين مختلف المناطق بالشمال الإفريقي رغم كل الظروف والصعوبات التي كانت تمر بها من طرف السلطة الوندالية أورجال الدين الأريوسيين الذين عملوا كل ما بوسعهم للقضاء على هذه الديانة ومحاولة منهم توسيع ونشر المذهب الأريوسي بدل المذهب الكاثوليكي في الشمال الإفريقي[4].

وبعد الحملة الناجحة التي قادها بيلزاريوس ضد الوندال وعلى الشمال الإفريقي والقضاء نهائيا على الوندالية في المنطقة، اجتمع رؤساء أساقفة نوميديا وبيزاكينا وأقاليم أخرى وكان عددهم حوالي 217 أسقف وذلك سنة 535م حيث كان الاجتماع

2- Ibid, p38

1-Devresse.R, l'Eglise d'Afrique durant l'occupation byzantine, 1940, p144 .

[3]- Ibid, p144.

3- Devresse.R,op-cit, 146

بقرطاج برئاسة أسقفها الجديد ريباراتوس (Reparatus) وهذا المجمع والتنظيم الجيد يوحي بالإصلاح السريع داخل البيت الكنسي الإفريقي بعد الإضطهاد الذي تعرضت له الكنيسة في الفترة الوندالية، ومن جهة أخرى حملة القائد صولومون لم تبدأ بعد في نوميديا ونجد أن الكنيسة الإفريقية استعادت قوتها واستقرارها الذي فقدته منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية وطيلة الفترة الوندالية بالشمال الإفريقي[1].

هذا وقد تم إرسال قرارات المجمع الذي انعقد بقرطاج سنة 535م إلى الإمبراطور جوستينيان كما أرسلت نسخة إلى بطريق روما (البابا) تطلب منه الحكم على أسئلة متفرقة تخص النظام الداخلي للكنيسة وفي هذا المجمع الديني عبر فيه رجال الدين عن الفرحة الكبيرة بهذه الحملة الناجحة التي قام بها الإمبراطور جوستنيان وأكد المجمع الديني على واجبه إتجاه النظام الجديد وضرورة إرجاع للكنيسة مكانتها التي ضاعت في الفترة الوندالية، ولم ينتظر الإمبراطور جوستنيان هوالأخر بالتعبير عن فرحه لهذه الحملة الناجحة وأكد في الرسالة التي أرسلها عن طريق القائد صولومون إلى ضرورة إصلاح الكنيسة ومحاربة كل أفكار الهراطقة (الأريوسية والدوناتية) وهذا لتكون الكنيسة الدينية ذات تنظيم جيد، حيث أوكل الإمبراطور مهمة مراقبة حسن سير الكنائس الإفريقية إلى القائد صولومون هذا الأخير الذي كان على حافة بداية الحرب ضد المور في المقاطعة النوميدية[2].

والحاكم السامي الأول في شمال إفريقيا هوارخيلايوس (Archelaus) حيث أمره الإمبراطور جوستنيان وأصدر الأوامر إلى ضرورة استرجاع سكان المقاطعة الافريقية لكل ممتلكاتهم التي انتزعت منهم خلال الفترة الوندالية، كما أصدر أوامر أيضا للقائد أركيلايوس بان تسترجع الكنيسة الإفريقية كل ممتلكاتها التي انتزعت منها في الفترة الوندالية كما أمر أيضا بمنع كل الطقوس الدينية الأريوسية والهرطقة في الشمال الإفريقي وضرورة ممارسة الطقوس الدينية الكاثوليكية المسيحية فقط الذي هوالدين الرسمي في المنطقة[3].

وأمر الامبراطور جوستنيان ببناء مجموعة من الكنائس في المقاطعة الإفريقية واهتم اهتماما كبيرا بإعادة المسيحية إلى الواجهة في إفريقيا[4] مثلا كنيسة بناها في سبتة (Septa) وفي سنة 548 م بنى الإمبراطور جوستنيان في مدينة لبدة Leptis magna خمس كنائس مسيحية واحدة منها تحمل إسم أم المسيح وأراد الإمبراطور بذلك جلب السكان لممارسة شعائر الدين المسيحي ونشر المسيحية في المنطقة، كما يمكن إعتبار هذه البنايات بمثابة القوة الداعمة لسلطة الإمبراطورية في المنطقة بفضل الدين المسيحي ورجال الدين في المنطقة[5].

---

[1]- Mercier. E, op-cit, p.145

[2]- Ibid, p146.

[3]- C[ie] de Jusus, Souvenir de l'ancienne église d'Afrique, 1862, p219.

[4] - fournel. H, les berbères. Études sur la conquête de l'Afrique par les arabes, d'après les textes arabes imprimés, imprimes nationale, vols I, paris, p326.

[1]- C[ie] de Jusus, op-cit, p224

ولنشر المسيحية وتنصير السكان الأصليين في شمال إفريقيا أرسل الإمبراطور جوستينيان مجموعة من الأساقفة ورجال الدين خاصة إلى المنطقة الطرابلسية[1] التي كان يقطن فيها مجموعة من المور كانوا فيما قبل موالين للإمبراطورية الرومانية وبذلك فقد عمل الإمبراطور على استمالتهم وتنصيرهم بعدما كانوا وثنيين حيث كان هؤلاء المور مسالمين لا يقومون بأي هجومات على الإمبراطورية الرومانية ولا البيزنطية فيما بعد ربطتهم علاقات تعاون قديمة[2].

ومع نهاية سنة 543م وبداية 544م أصدر الإمبراطور جوستنيان وثيقة ضد ثلاثة من رجال الدين هم تيودور (Théodore) وايباس (Ibas) وتيودوريت (Théodoret) وأقر بضعف المعتقد الديني الذي يقرون به وألغى قراراتهم السابقة وهذه الإدانة عرفت عند المؤرخين ب "**أزمة الفصول الثلاث**" غير أنه وفي سنة 550م لم تقر الأسقفية الإفريقية بإدانة الفصول الثلاث وشعرت اتجاههم بالذنب إذا ما فعلت ذلك وأرسلت إلى الامبراطور جوستنيان رسالة تدين فيه قرار إدانة الفصول الثلاث، وبعد مرور سنة من ذلك أي سنة 551 م استدعى الإمبراطور جوستنيان إلى القسطنطينية أربعة أساقفة من أساقفة الشمال الإفريقي وهم ريباراتوس (Réparatus) أسقف قرطاج، فيرميوس (Firmius) أسقف تيبازة، فيركونديوس (Vercundus) وأخيرا بريماسيوس Primasius أسقف حضرموت، وقام الإمبراطور بتعديلات حيث إستبدل ريباراتوس بأسقف أخر على رأس أسقفية قرطاج أما الأسقف فيركونديوس فقد مات سنة 552م في خلقيدوينا ومع نهاية سنة 553 م وقرر الإمبراطور نهائيا إدانة الفصول الثلاث وقد أعطى أساقفة المقاطعة الإفريقية موافقتهم في ذلك وكان عددهم 9 أساقفة ممن أعطوا توقيعاتهم في هذه الإدانة وسنستعرض هذه الإدانة بشكل مفصل في النقاط القادمة من البحث[3].

ويمكن أن نفهم من قرار الإمبراطور جوستنيان في إدانة الفصول الثلاث إرادة الإمبراطور في السيطرة على الهيكلة الدينية ورجال الدين الكاثوليك أي أنه يريد أن يؤكد سلطة الإمبراطور المدنية على السلطة الدينية وأنه وحده القادر على سن القوانين الدينية الخاصة بالدين الكاثوليكي المسيحي وكذا السلطة المدنية التي تمس مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ...الخ[4].

أما عن معالجة المشاكل الهامة في المقاطعة الإفريقية فيذكر دوفراس (Devresse) أن معالجة هذه المسائل والأعمال تكون بين البابا وحاكم الولاية أوبين البابا والرجال الذين يثق فيهم أويتم بإستدعاء الأطراف المتنازعة إلى روما لمعالجة أي مسالة عالقة في البيت الكنسي في الشمال الإفريقي، أي أن الكنيسة الإفريقية غير مستقلة في قراراتها حسب دوفراس فهي تبقى دائما تابعة لإدارة البابا في روما أوالإمبراطور جوستنيان في الشرق وما يؤكد ذلك حسب دوفراس أنه في غضون الصراع الذي كان قائما بين مقاطعة قرطاج وبيزاكينا وبعد المجمع الديني بقرطاج سنة 535 م أرسل رئيس الأساقفة ريباراتوس نسخة إلى البابا من هذه القرارات التي تم إتخاذها في مجمع قرطاج سنة 535م ونسخة أخرى إلى الإمبراطور جوستنيان كما رأينا سابقا، وتكون بذلك مهمة

[1] – مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية،ص29

[3]- C[ie] de Jusus, op-cit, p225.

[4]- Devresse.R, op-cit, p147-148

1- Devresse.R, op-cit, p149

البابا أوالإمبراطور هوحل الصراع القائم بين المقاطعة القرطاجية ومقاطعة بيزاكينا بصفة نهائية كما وضع الإمبراطور جوستنيان الكنيسة الإفريقية تحت سلطة قائد سامي تكون في يده كل السلطات والصلاحيات وكل الأسقفيات بشمال إفريقيا، وهذا ما يبين ربما أن الكنائس الدينية ورجال الدين المسيح في شمال إفريقيا في عهد الإمبراطور جوستنيان كانوا خاضعين للسلطة المدنية ولحاكم الولايات أوإلى الحاكم العام[1].

ونفهم من خلال المجمع الذي أقيم بقرطاج سنة 535م دون غيرها من المقاطعات والولايات الأخرى أنه كان لكنيسة قرطاج امتيازات وصلاحيات تتمتع بها على الكنائس الأخرى على غرار نوميديا أوبيزاكينا مثلا، وما يؤكد ذلك أنه وفي سنة 541 م طالب الأسقف داسيانوس (Dacianus) بأن تكون للبيزاكينا نفس الإمتيازات والصلاحيات التي تتمتع بها المقاطعة القرطاجية، حيث نفهم من ذلك أن أساقفة مقاطعة البيزاكينا أونوميديا كانوا يعينون ويختارون من طرف رئيس أساقفة قرطاج نفسه وذلك بعد موافقة الإمبراطور جوستنيان[2]، ونجد في قوانين جوستنيان أنه يقول بعبارة رئيس أساقفة قرطاج (Métropolitaine de Carthage)، وفي عبارة أخرى موجهة إلى المقاطعة النوميدية والبيزاكينا نجد مصطلح (Primat de Numidie et de Byzacène) وهذا ما يؤكد الامتيازات والصلاحيات التي تتمتع بها كنيسة قرطاج عن باقي الكنائس الإفريقية في فترة الإمبراطور جوستنيان أي أن قرطاج كانت العاصمة الدينية في شمال إفريقيا[3].

وقد لا نجد نفس المصطلحات الدينية التي تطلق على أساقفة قرطاج هي نفسها المصطلحات التي تطلق على رجال الدين في المقاطعة البيزاكينا أوفي نوميديا،فمثلا في قرطاج نجد المصطلحات التي تطلق على الأساقفة (Evèque , Archivèque , Metorpolitaine) وكلها تعني رئيس الأساقفة، أما المصطلح الذي نجده في المقاطعات الأخرى والذي يطلق على الممثل الأعلى في التسلسل الكهنوني الكنيسي في البيزاكينا أوفي نوميديا نجد Senior, Prinas, Episcopus, Primae (Sedis, Snex) كل هذه الأشياء قد تضفي الصبغة الرسمية والأساسية والصلاحيات التي تمتاز بها كنيسة قرطاج عن باقي الكنائس في نوميديا والبيزاكينا[4].

3. الإدارة الدينية في المقاطعة الإفريقية البيزنطية:

تعتبر المقاطعة الإفريقية واحدة من المقاطعات البيزنطية في حوض المتوسط حيث تتدخل السلطة في أعمال الكنيسة وتطبق القوانين العامة التي تعطي السيادة والحق في المراقبة على تعيين رجال الدين وكذا التسيير الجيد للكنيسة، حيث كانت السلطة السياسية هي من لها الحق وحدها في سن القوانين وسلطتها أكبر من السلطة الدينية ومن رجال الدين حيث كانت السلطة الدينية تخضع إلى السلطة السياسية وسلطة الإمبراطور وهذا طيلة فترة حكم الإمبراطور جوستينيان.

---

[1]- Mercier. E, op-cit, p156

[2]- Ibid, p159

[1]- Devresse.R, op-cit, p151

2- Ibid, p152

والسؤال الذي يمكن طرحه في هذا الجانب هو: هل كانت الكنيسة في عهد الإمبراطور جوستنيان مستقلة في إدارتها وقراراتها ؟ أم أنها كانت خاضعة إلى سلطة الإمبراطور مباشرة ؟ خاصة إذا علمنا أن كلا من السلطتين المدنية والعسكرية وكل السلطات كانت تخضع لسلطة الإمبراطور جوستينيان فقد كان هذا الأخير وراء تعيين الأشخاص المسؤولين في الإدارة المدنية والعسكرية وكانوا تحت مراقبته وسلطته الدائمة عليهم، وهل كان الإمبراطور جوستنيان يعتبر بأنه لا يوجد فرق بين الإمبراطور والكاهن أي أنهما في نفس المرتبة أم أن هناك فرق ؟ كذلك بين الرجال المقدسين والعامة من الناس في الإمبراطورية ؟ وحتى نفهم مكانة ودور الكنيسة الإفريقية في الإمبراطورية البيزنطية يجب أن ندرس الوظائف الإدارية وموظفي الكنيسة بعد الاحتلال البيزنطي وضم المقاطعة الإفريقية إلى أقاليم الإمبراطورية البيزنطية[1].

أول عمل قام به الإمبراطور جوستنيان بعد القضاء على الوندال بشمال إفريقيا هوالتغيير في الوظائف الإدارية وذلك حتى تكون هذه الوظائف بمعايير ومقاييس بيزنطية بحتة، وما كان موجود في شمال إفريقيا هوتقريبا نفسه في الأقاليم البيزنطية الأخرى حيث أن قاعدة التأسيس والبناء كانت من طرف الأسقفية وكانت هذه الأخيرة في شمال إفريقيا أكثر مما كانت في الأقاليم البيزنطية الأخرى وهوما يجعلنا نعتقد أنه وفي كل مدينة من شمال إفريقيا كان لها أسقفها الخاص بها[2].

هذا ولم تتجاهل السلطة البيزنطية المدن الصغيرة فهي الأخرى كان لها رجال دين خاصيين بها كما للمدن الكبيرة، وبما أن حدود المدن كانت معروفة ومحددة وهوما يبعد أي شك قد يراودنا ويبعد كل الشكوك في تعيين رجال الدين في كل مدينة من هذه المدن ما دامت حدود هذه المدن معروفة، هذا ويمكن أن نفترض أنه في مقاطعة البروقنصلية ومقاطعة البيزاكينا كان هناك عدد من الأسقفيات تقدر ما بين 50 إلى 100 أسقفية، وربما أيضا في نوميديا أما باقي الولايات فكانت عدد الأسقفيات بها بشكل أقل[3].

ومع بداية الاحتلال البيزنطي سنة 534 م كانت المقاطعة الإفريقية تحتوي خمس أقاليم تم احتلالها بصفة رسمية أوبصفة جزئية في كل من البروقنصلية، بيزاكينا، نوميديا، موريطانيا السطايفية والطرابلسية وانتهت بضم سردينيا، حيث أننا نجد وإلى غاية 439م المقاطعات الخمسة الأولى وضعت تحت سلطة أسقف قرطاج حيث كانت تعتبر قرطاج في هذه الفترة عاصمة الولايات الإفريقية وكل المجامع الدينية كانت تعقد في العاصمة قرطاج وهوالشيء الذي يوحي ويؤكد سلطة أساقفة العاصمة قرطاج على كل الرفاق والأصدقاء الأساقفة في الولايات الأخرى[4].

وفي المجمع الديني الذي أنعقد في 535 م بقرطاج يكون هذا المجمع الديني من التقاليد القديمة أي أن كل المجامع تعقد بالعاصمة قرطاج وكل الأساقفة الذين ينتمون إلى أسقفية قرطاج لهم سلطة عليا على الأساقفة في المقاطعات الأخرى من المدن

1-Durliat.J, L'Administration religieuse du diocèse byzantin d'Afrique 533-709, Toulouse, 1984, p149 .

2-Ibid, p150

3- Mercier. E,op-cit, p151

4 - Ibid, p156

الإفريقية، والقانون الذي صدر في نفس السنة يؤكد سلطة الوارثين للقديس سبيريان (Saint Cypirien) على كل رفاقه في المقاطعة المدنية الإفريقية الأخرى[1].

ومن الممكن أنه كان لكل من المقاطعة الطرابلسية ومقاطعة سردينيا أسقف مقره بعاصمة الولاية التي ينتمي إليها غير أننا نجد أن كل من المقاطعة النوميدية، الموريطانية وبيزاكينا لم يكن لها عاصمة كهنوتية مستقرة، حيث كان رئيس الأساقفة يختار من بين الأساقفة الموجودين في المقاطعة التي ينتمون إليها[2].

وهناك قانونين أصدرهما الإمبراطور جوستنيان يقر ويؤكد على أنه منذ سنتي 541 م و542 م أصبح رئيس أساقفة المقاطعة البيزاكينا له نفس حقوق رفاقه الأساقفة في قرطاج وفي الأقاليم الأخرى من الإمبراطورية البيزنطية والاستقلالية التامة تكون تحت سلطة بطريق روما.

وهناك قانون أخر أصدره الإمبراطور جوستنيان سنة 545 م يقر على أن رؤساء الأساقفة الآخرين في إفريقيا يحرزون نفس الامتيازات التي يحظى بها كل الأساقفة في كل المقاطعات البيزنطية، ونفس الشيء تقريبا تواصل في عهد جوستنيان الثاني، وللتوافق والانسجام في فترة جريجوار الكبير (Grigoire le Grand) لم يكن هذا الأخير يتساءل أوينوي أن يتدخل في شؤون أي أسقفية وفي أعمال المقاطعات البيزنطية الأخرى، حيث كانت كل المقاطعات الإفريقية مستقلة في تسيير شؤونها بنفسها دون أي سلطة إحداها على الأخرى، ويكون بذلك الاتحاد الديني الذي كان في إفريقيا الرومانية القديمة بصفة رسمية قد تلاشى وأصبحت كل مقاطعة تسير أمورها الدينية على حدى إلا أننا نفتقر إلى الأدلة الكافية التي تفسر هذا التباعد الديني وانفصال كل مقاطعة في تسيير شؤونها الدينية في المقاطعة التي تنتمي إليها[3].

ويمكن القول ايضا أن أسقفية إفريقيا المدنية لم تؤسس وسيط بين المقاطعات الكهنوتية أوالكنيسة وبطريق روما هذا الأخير الذي واصل في بقاء مكانته ذات السلطات العليا والمتعددة في المجال الديني الكنسي وفي تبعية كل الكنائس لسلطانه ولغتها اللاتينية[4].

ومن الممكن أن الأباطرة البيزنطيون ربطوا المقاطعات بمقاطعة الإسكندرية ولكن هذا النوع من الربط لم يحدث في شمال إفريقيا في فترة الإمبراطور جوستينيان ما عدا في وقت من الأوقات تم ربط وضم المقاطعة الطرابلسية بالمقاطعة المصرية ماعدا ذلك فقد كانت شمال إفريقيا لها سلطتها واستقلالها وسيادتها الخاصة بها في تسيير شؤونها الإدارية والدينية[5].

وفيما يخص كيفية تعيين رئيس الأساقفة فيكون ذلك بأن يقوم رجال الدين البارزين في الساحة الدينية ورجال الدين المحليين في المقاطعة باختيار مرشح لهم في أن يكون رئيس الأساقفة في عاصمة الولاية التي ينتمي لها ويجب أن يكون هذا الأخير كفؤ حتى

---

[1]- Mercier. E,op, p159

[2]- Durliat.J, op-cit, p153

[3]- Ibid, p153

[4]-, Devresse.R, op-cit, p156

[1]- Devresse.R, op-cit, p154

يشغل هذا المنصب، وفي بعض الحالات كان البابا (Le Pape) والسلطات المدنية يفرضون مرشحهم لأن يحتل هذا المنصب العالي الكنسي أوأن يختار رجال الدين اثنان أوثلاثة من الأساقفة الذين رشحوهم لشغل هذا المنصب والبابا (Le Pape) هومن يختار الجدير والأحق من هؤلاء الأساقفة في شغل هذا المنصب وهومن يختار الأساقفة في مقاطعته بعدما يتم تعيينه في المقاطعة التي يترأسها (رئيس الأساقفة)[1].

وفيما يخص سلطة رئيس الأساقفة على الأساقفة فهي كبيرة بعد تعيينه رئيسا لمقاطعة ما، وبما أن المدن الصغيرة بعيدة عن عاصمة الولاية فيصعب توزيع واستقبال المعلومات من هذه المدن البعيدة وهوما ألزم على رئيس الأساقفة في أن يختار أساقفة له في كل المدن التابعة لمقاطعته والذين يعتمد عليهم في تسيير هذه المدن في المجال الديني بالنيابة عنه ويختار منهم من يثق في قدرتهم وصدقهم له كما يعين رجال الدين أيضا في كل المقاطعات التي تنتمي لمقاطعته[2].

يمارس رئيس الأساقفة سلطته بالاعتماد على وسطاء من وكلائه المعتمدين خاصين به أوعن طريق مسؤولين يرسلهم إلى الأساقفة خاصة إذا تعلق الأمر بالمجامع الإقليمية التي تقام في كل مقاطعة مرتين في كل سنة وكانت هذه المجامع لا تقام خلال فترات الصراع والحروب وإنما تقام في حالة الاستقرار والأمن، وقد بدأت هذه المجامع في الانعقاد بالشمال الإفريقي بداية من سنة 540 م حيث عرفت هذه الفترة نوع من الأمن والاستقرار في المنطقة خاصة في مقاطعة البيزاكينا نهاية القرن السادس ميلادي[3].

أما فيما يخص سبب انعقاد هذه المجامع الدينية ففي شمال إفريقيا كباقي الأقاليم الأخرى يتم عقد مجامع دينية بهدف معالجة قضايا النظام الكنسي أومعالجة الاختلافات والخلافات بين الأساقفة أوبين رجال الدين والأساقفة ويتم فك النزاعات القائمة داخل البيت الكهنوتي[4]، والقرار النهائي في هذه النزاعات يرجع إلى بطريق روما وقراراته غير قابلة للمناقشة من طرف الأساقفة وليست قابلة للرد[5].

4. مكانة الكنيسة الإفريقية في العالم المسيحي :

ما يبين ويؤكد المكانة والدور الكبيرين الذي كانت تتمتع به الكنيسة والمسيحية في الفترة البيزنطية في كونها تمثل الدورين الديني والأمني معا، فالكنيسة مكان لإقامة الشعائر الدينية المسيحية كما أنها الحصن الذي يحتمي به السكان من بطش الحروب، فمثلا عند الحملة البيزنطية التي قادها بليزاريوس على الوندال في شمال إفريقيا قد أدى بمجموعة كبيرة من الوندالبين إلى اللجوء إلى عدد من الكنائس الريفية في واد مجردة وكانوا ينتظرون بذلك العفومن بليزاريوس والإبقاء عليهم على قيد الحياة، فالقيام بمثل هذا العمل ربما يرجع إلى معرفة هذه الفئة من الوندال بمكانة وهيبة الكنيسة لدى السلطة البيزنطية[6].

---

[2]- Ibid, p155

3- Durliat.J, op-cit, p155

[4]- Ibid, p156

1- Durliat.J, op-cit, p159

[2]- Ibid, p161

3- Ibid p172

ونلاحظ انه بعد الحملة الناجحة واستقرار الأوضاع في الشمال الإفريقي حظيت الكنيسة في شمال إفريقيا بمكانة رفيعة من طرف الإمبراطور جوستنيان هذا الأخير الذي أعطاها سلطات كبيرة واسعة في المقاطعة الإفريقية، فقد كانت مكانة الكنيسة كبيرة جدا في نفس الإمبراطور حيث كان للكنيسة سلطة حق متابعة إدارة المدن والولايات الإفريقية، كما أنها تتدخل في كل الأعمال السياسية والمالية والإدارية وحتى العسكرية منها، هذا وقد تم العثور على مجموعة من البقايا الأثرية التي تدل على وجود كنائس في مقاطعة نوميديا وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على وجود الكنائس بكثرة في الشمال الإفريقي وعلى المكانة التي حظيت بها الكنيسة ورجال الدين الكاثوليك خلال فترة الإمبراطور جوستنيان، هذا الأخير الذي يظهر من خلال إهتمامه بالكنائس ورجال الدين أن نشر المسيحية بالمقاطعة الإفريقية كانت ضمن أهدافه الأولى لاحتلال استرجاع المقاطعة الإفريقية من الوندال ومد نفوذه إلى حدود الإمبراطورية الرومانية القديمة[1].

5. المجامع الدينية للكنيسة الإفريقية :

الحديث عن المجامع الدينية بشمال إفريقيا خلال الفترة البيزنطية يقودنا إلى التساؤل عن طبيعة المجامع الدينية في كونها مجامع إقليمية تضم كل رجال الدين في المقاطعة الإفريقية ؟ أم أنها مجامع جهوية تضم فقط رجال دين مقاطعة معينة ؟ وكذلك يقودنا هذا الموضوع إلى التساؤل عن أسباب انعقاد هذه المجامع ؟، والقضايا التي يتم معالجتها في هذه المجامع ؟ ومدى سلطة الإمبراطور في قرارات هذه المجامع ؟ وهل يتدخل الإمبراطور في القرارات الدينية التي تتمخض عنها أم لا ؟ أي هل سلطة الإمبراطور جوستنيان في هذه الفترة أكبر من سلطة الكنيسة ؟، وسنحاول فيما يلي التطرق إلى المجامع الدينية التي انعقدت في شمال إفريقيا في فترة حكم الإمبراطور جوستنيان كونها الفترة التاريخية الأزهى للمسيحية في بلاد المغرب وذلك للاهتمام الكبير الذي أولاه الإمبراطور للمسيحية وللكنائس ورجال الدين والامتيازات التي كانوا يحضون بها طيلة فترة حكمه :

– مجمع ديني سنة 535م : انعقد هذا المجمع الديني في قرطاج سنة 535م بعد الانتصارات التي حققها الإمبراطور جوستنيان في الشمال الإفريقي، حيث جاء هذا المجمع ليطالب باسترجاع كل الامتيازات والممتلكات التي فقدتها الكنيسة خلال الفترة الوندالية[2].

– مجمع ديني سنة 550م: حسب يوسف عيبش نقلا عن فيكتور الفيتي أنه وردت إشارة إلى انعقاد مجمع ديني بالشمال الإفريقي خلال فترة أزمة الفصول الثلاث وهذا بعد الفتوى التي أصدرها البابا فيجيل في إدانة الفصول الثلاث، حيث تم في هذا المجمع الإعلان عن إقصاء البابا فيجيل من المذهب الكاثوليكي بسبب موقفه المؤيد للإمبراطور جوستنيان وإدانة الفصول الثلاث، وقد كان مقر اجتماع هذا المجمع الديني بالعاصمة قرطاج[3].

إضافة إلى هذه المجامع يمكن أن نذكر أيضا بعض المجامع الدينية الأخرى التي كانت في حدود الولايات نذكر مثلا : مجمع ديني سنة 541 م عقد بولاية المزاق (Byzacène)، أيضا هناك مجمع أخر عقد في الولايات الثلاث (نوميديا، البروقنصلية، قرطاج)

4-Gsell St, , L'Algérie dans l'antiquité, Alger, 1903 ,p136-137

[2]– يوسف عيبش،، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2006-2007م، ص127

[3]– نفسه،ص128

لمناقشة أزمة الفصول الثلاث وذلك سنة 550 م كما سبق الذكر وأيضا مجمع سنة 554 م هذا المجمع الذي انعقد بالبروقنصلية ومجمع سنة 555 م عقد بنوميديا[1].

6. أزمة الفصول الثلاث وموقف الكنيسة الإفريقية:

كان الإمبراطور جوستنيان يعتبر نفسه ممثل السلطة الإلهية في الأرض وأنه وحده له الحق في إصدار أحكاما دينية في القضايا الهامة وكان يعتبر نفسه المسئول المباشر عن الكنائس الدينية والعبادات الإلهية في بيزنطا والعالم المسيحي، حيث استغل بذلك المكانة التي أعطاها لنفسه في إدانة ثلاثة من رجال الدين هم (تيودور، إيباس وتيودوريت) وتعرف هذه الإدانة عند المؤرخين "**بأزمة الفصول الثلاث**" وكان ذلك سنة 544 م[2].

ورجال الدين الذين أدانهم الإمبراطور جوستنيان ربما كانوا يدينون ويدعون للمذهب النسطوري* والتي اعتمدت نصوصها في مجمع خلقدونية الذي انعقد سنة 451م، أراد الإمبراطور بذلك إدانة نصوص هؤلاء الثلاثة وعدم الاعتراف بمذهبهم والأفكار التي يتبناها[3] وكانت هذه الإدانة ربما بإيعاز من زوجة الإمبراطور جوستنيان وهي تيودورا التي كانت تكره المذهب النسطوري حيث كانت تعطف كثيرا على المذهب المونوفيزيتي وربما هي إحدى مريديه[4].

ويجمع العديد من المؤرخين أن أسباب هذه الإدانة يعود إلى التشاور الذي كان بين الإمبراطورة تيودورا زوجة الامبراطور جوستنيان وأسكيداس (Askidas) في أن تقدم الإمبراطورة تيودورا إلى جوستنيان، وتبين له على أن المذهب المونوفيزيتي وأتباعه سيظهرون بمظهر لائق في الإمبراطورية إذا ما أدان الإمبراطور المذهب النسطوري حيث أراد أسكيداس بذلك ضرب أعدائه من أتباع المذهب النسطوري وهذه الإدانة تمس ثلاث من أشهر رجال الدين النسطوريين وهم تيودور(Theodore)، تيودوريت (Theodoret) والشخص الثالث ايباس (Ibas) وإدانة قراراتهم التي جاءت في مجمع خلقدونيا سنة 451م[5] .

في حين يذهب البعض الأخر إلى اعتبار أن الإمبراطور جوستنيان وبتأثير من زوجته تيودورا التي دفعت به إلى إيقاظ فكرة الوحدانية وذلك بإدانة ثلاث كهنة وذلك لان هؤلاء الفصول الثلاث قد هاجموا المذهب المونوفيزيتي في المجمع الديني الخلقدوني علما أن الإمبراطورة تيودورا كانت تعطف على المذهب المونوفيزيتي أوربما رهي من أتباع هذا المذهب، في حين الفصول الثلاث كانوا

---

[1]- نفسه،ص129

1-C[ie] de jusus,op-cit, p229

(*)- يرجع المذهب النسطوري إلى مؤسسه الأول نسطوريوس Nestorus حيث دعي هذا الأخير إلى الاعتقاد أنه لا يوجد إتحاد بين الطبيعتين الإلهية والبشرية في شخص يسوع المسيح، بل هناك اتصال بين إنسان وإله وبالتالي لا يمكن إطلاق اسم والدة الإله على مريم العذراء، أي أنها لم تلد إله بل إنسان فقط ويكون هذا المذهب بذلك مخالفا للمسيحية التي تقر بالطبيعة الواحدة الإلهية والبشري(أنظر :

-C[ie] de jusus, op-cit, p230

[3]- عيبش.ي، المرجع السابق، ص130

[4]-C[ie] de jusus, op-cit, p230

[4]-Pargoire .le R.P.J, , L'Église byzantine de 527 à 847, paris, 1905,p 36

يدينون بالمذهب النسطوري وكان هذا السبب أي النزاع الذي كان بين المذهب المونوفيزيتي والنسطوري هوما أدى بالإمبراطورة تيودورا بالطلب من الإمبراطور إدانة الفصول الثلاث وإدانة العقيدة التي هم عليها (النسطورية)[1].

أدرك الإمبراطور جوستنيان بعد ذلك مدى صعوبة القرار والتوافق مع جميع الأساقفة ورجال الدين على توقيع مرسوم الإدانة وإدانة الفصول الثلاث رسميا وعدم قبول نصوص ما جاء في مجمع خلقدونية، لذلك لجأ إلى البابا فيجيل(Végile) من أجل إمضاء مرسوم الإدانة حتى يضمن السلطة التشريعية والرسمية لمرسوم الإدانة وقبوله من طرف رجال الدين وكذا مختلف طبقات المجتمع، وقد دعا الإمبراطور جوستنيان البابا فيجيل إلى القسطنطينية سنة 547 م حتى يتم التوقيع على مرسوم إدانة الفصول الثلاث[2] .

رفض البابا فيجيل في بداية الأمر إدانة الفصول الثلاث وتوقيع المرسوم الذي أعلنه الإمبراطور جوستنيان ذلك لأنه تلقى مجموعة من المراسلات والوفود الإفريقية تشجعه وتحثه على عدم الرضوخ لمطالب الإمبراطور، لكن ذلك الأمر لم يتحقق بسبب ضغوطات الإمبراطور على البابا فيجيل فصادق على المرسوم وأصدر ما يسمى بفتوى البابا فيجيل (Judicatum)، إلا أن هذه الفتوى من طرف البابا أدت بالكثير من القساوسة والأساقفة في الشمال الإفريقي إلى تنظيم مجامع دينية جهوية تستنكر ما قام به البابا فيجيل ورفضها لقرار الإمبراطور والبابا في إدانة الفصول الثلاث[3] ومن الأساقفة الذين رفضوا إدانة الفصول الثلاث نذكر فكونديوس (Facundus) أسقف مقاطعة البيزاكينا[4] ونجد كل أساقفة المقاطعة الإفريقية رفضوا الرضوخ لمطالب البابا والتوقيع على مرسوم الإدانة وهوما يوحي بدور الكنيسة الإفريقية وأهميتها في اتخاذ القرارات الدينية وتأثيرها في العالم المسيحي .

كما كان رد فعل الأساقفة في الإمبراطورية الشرقية جد عنيف في البداية حيث انتقدوا كثيرا قرار البابا المجحف في حق الفصول الثلاث يأتي في مقدمة الكنائس التي رفضت الإدانة كنيسة الإسكندرية وكنيسة فلسطين رغم التهديدات والضغوطات التي تعرض لها رجال الدين[5]، في حين كان رد فعل أساقفة الغرب في الشمال الإفريقي أعنف ولم يقبلوا بقرار البابا وقرار الإدانة والرضوخ والرضوخ لسلطة الإمبراطور وقد دعا رئيس الأساقفة كل أساقفة المقاطعات الإفريقية إلى الاجتماع والنظر في هذه الإدانة[6].

وبسبب طول مدة الأزمة دعا البابا فيجيل سنة 550م إلى عقد مجمع ديني عام حضره كبار الأساقفة ورجال الدين وقد أقر فيها أساقفة الشرق بإدانة الفصول الثلاث بعد تعرضهم للضغط من طرف السلطة البيزنطية والوقوف إلى جانب الإمبراطور جوستنيان في هذا الموقف، في حين رفض أساقفة الغرب إدانة الفصول الثلاث والرضوخ لمطالب الإمبراطور، وفي هذا الوقت اجتمع

1- Mourret.F, , l'Église et le monde barbare, Paris, 1931,p.41

2-C^ie de jusus, op-cit, p234

3- عيبش ي، المرجع السابق، ص131.

4- C^ie de jusus, op-cit, p234

5-Jarry.J , Hérésies et faction dans l'empire byzantin du 4^ème au 7^ème siècle, Le Caire, 1968,p365 .

6 - Pargoire .le R.P.J, op-cit, p37.

أساقفة الشمال الإفريقي في قرطاج العاصمة الدينية وهذا بعد صدور الفتوى وقرروا عدم قبول فتوى البابا فيجيل وذهبوا بذلك إلى إدانة البابا فيجيل نفسه ووضعوه خارج سلطة الكنيسة الكاثوليكية[1].

وفي سنة 551م وبطلب من البابا فيجيل استدعى الإمبراطور جوستنيان أساقفة المقاطعة الإفريقية إلى القسطنطينية ومنهم ريباراتوس (Reparatus) أسقف قرطاج، فيرموس (Furmus) كاهن نوميديا، وإثنان من أساقفة مقاطعة البيزاكينا وفاركوندوس(Varcondus) أسقف عين غريب (Lunca) وقام بإقصائهم من المناصب التي كانوا يحتلونها، حيث تم تعويض ريباراتوس أسقف قرطاجة بأسقف أخر يدعى بريماسيوس Prémasus الذي أصبح أسقف قرطاج منذ ذلك الحين[2].

7. الحياة الدينية للمجتمع الموري في الفترة البيزنطية :

1.7. الوثنية : لا يمكن للإنسان أن يعيش دون معتقد ديني وهذا عبر العصور وقد عبد سكان الشمال الإفريقي مجموعة من الظواهر الطبيعية بما فيها الشمس والقمر كما عبدوا مجموعة من الآلهة مثل **الإله أمون وتانيت** وهي معبودات أصلية كانت موجودة قبل التواجد الفينيقي في المنطقة، استمرت عبادتها إلى غاية الفترة البيزنطية والإسلامية حيث توجد بعض الآثار التي توحي بوجود العبادة الوثنية وانتشارها واستمرارها في بعض القبائل المورية بالمنطقة، وهوما تؤكده المصادر الكلاسيكية والأثرية فقد ذكر بروكوب مايلي: « توجد مدينتين تحملان نفس الاسم كل واحدة منها تدعى اوجيلا كانتا بعيدتين عن برقة حوالي أربعة أيام سيرا بالنسبة للمسافرين غير المثقلين بالبضائع ذلك باتجاه الجنوب وكانت كلتيهما بمثابة مدينتين حقيقيتين حافظ سكانهما على تقاليدهم القديمة حيث كانوا جميعهم يمارسون الديانة الوثنية حتى وقتنا الحاضر وكان هنا أيضا منذ زمن طويل مجموعة من التماثيل المقامة للاله أمون واسكندر المقدوني وكان الأهالي يقدمون لها القرابين » ومن هذا نفهم أن عبادة الأوثان قد استمرت إلى الفترة البيزنطية وربما إلى الفترة الإسلامية وهوما يؤكد تمسك السكان المغاربة بأصولهم الدينية وتقاليدهم بالرغم من كل الظروف الصعبة التي مر بها تاريخ المنطقة وتعاقب الحضارات فيها [3] .

وفيما تبينه البقايا الأثرية عن العبادة الوثنية للقبائل المورية ما أورده يوسف عيبش نقلا عن الباحث البريطاني ماتينجلي (Mattinglly) وما تم إكتشافه في موقع غيرزة (Ghirza) حيث عثر هذا الأخير على نقائش تمثل طقوس دينية قدمت الثيران كقرابين إضافة الى نقيشة تشير إلى ذبح 51 ثور و39 عنزة كقرابين في احتفال ديني ورجح الباحث فترة هذه النقوش إلى منتصف القرن السادس ميلادي[4]

2.7. اليهودية : النص الذي يوحي بانتشار الديانة اليهودية واعتناق بعض قبائل الشمال الإفريقي القديم لهذه الديانة ما أورده ابن خلدون في كتابه :« كذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بالديانة اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم كما كانت جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب عند الفتح » من خلال نص ابن خلدون

[1] – نعيم فرح،، تاريخ بيزنطة، ج1،،دمشق،1978،ص187

3- C[ie] de jusus, op-cit, p236

[3] – عيبش ي، المرجع السابق،ص148

[4] – عيبش ي، المرجع السابق،ص149

نفهم أن الكاهنة وقبيلة جراوة كانت تدين باليهودية لكن وحسب عيبش نقلا عن محمد طالبي أن النص يتكلم عن إمكانية اعتناق مجموعة من القبائل للديانة اليهودية وذلك في زمن بني إسرائيل، ويقول طالبي في ذلك أن قبيلة جراوة من المحتمل أن تكون مسيحية خاصة أن زناتة القبيلة الأم قد ناصرت البطريق جريجوار في بداية الفتوحات الإسلامية ولهذا فمن الصعب تقبل فكرة اعتناق بعض القبائل المورية للديانة اليهودية وتقبل ما ورد عند ابن خلدون[1] .

أما الكلام عن وجود قبائل بربرية يهودية فيقول محمد البشير شنيتي في ذلك أنه لا يوجد دليل أثري عن مستعمرات يهودية في شمال إفريقيا ويضيف أن تعمق اليهودية في الأرياف النائية حسب بعض المؤرخين وأصحاب الآراء القائلة بتوغل اليهودية في وسط القبائل البربرية لهم إغراضا خاصة ليس لها أسانيد تاريخية تؤكد ذلك ولا تخدم البحث التاريخي الموضوعي [2] .

3.7. المسيحية : لقد عاش سكان الشمال الإفريقي لمدة طويلة قبل التوسع الفينيقي في الساحل الإفريقي على المعتقدات الوثنية وإلى القرن الرابع ميلادي رغم انتشار الديانة المسيحية في القسم الشمالي من إفريقيا في حين بقيت الكثير من القبائل التي كانت تسكن الجنوب والتي كانت حياتها مبنية على الترحال والتنقل بين الشمال والجنوب تدين بالوثنية، وقد واصلت هذه القبائل احتفاظها بالديانة الأصلية أي الديانة الوثنية ونذكر على سبيل المثال قبائل الجيتول وقبائل القارامنت التي حافظت على معبوداتها الوثنية القديمة .

هناك شواهد تؤكد انتشار المسيحية في أوساط القبائل البربرية المورية واعتناقهم للديانة المسيحية بداية من القرن الرابع ميلادي وذلك نتيجة احتكاكهم بسكان الشمال الإفريقي المسيحيين وكذا توغل الأساقفة ورجال الدين داخل القبائل المورية والتبشير بالمسيحية، وهذه العوامل أدت بالكثير من هذه القبائل إلى اعتناق الذهب الكاثوليكي المسيحي[3] .

ويمكن أن نعتقد بأن هذه القبائل قد استمرت على هذا الدين بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية وطيلة الفترة الوندالية وحتى الفترة البيزنطية إلى الفترة الإسلامية،حيث عثر في منطقة الأوراس وبالتحديد في موقع أريس (Aris) على نقيشة يظهر فيها قائد موري إسمه ماستي (Mastie) هوبلا شك مسيحي وهوما يدل على أن تكون مجموعة من القبائل في الأوراس تدين بالمسيحية في حين بقيت القبائل الأخرى تدين بالديانة الوثنية[4] .

أما المسيحية في عهد الإمبراطور جوستينيان فقد كانت الديانة الرسمية في الإمبراطورية البيزنطية وفي الأقاليم والمقاطعات التابعة لها بما فيها المقاطعة الإفريقية وهوما يقودنا إلى الاعتقاد بأن الامبراطور جوستينيان قد مارس سياسة تبشيرية واسعة في شمال إفريقيا

---

[1]- نفسه،ص150

[2]- شنيتي م.ب،، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب اثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع ميلادي، الجزائر،1984، ص200

[1]-Audollente. A, , La diffusion du christianisme en Afrique au sud des territoires soumis à Rome après le 5ème siècle, 1942,p 204

[2]-Janon.M, L'Aurès au 6ème siècle. Note sur le récit de Procope, antiquité africaines, T15, 1980, p350. 378

ووضع كل ما بوسعه لتنصير سكان المنطقة وذلك ببناء الكنائس ودير العبادة وكذا الاهتمام برجال الدين والأساقفة المسيحيين، وقد ذكر بروكوب أن الإمبراطور جوستينيان قد شيد خمسة كنائس في لبدة (Liptis Magna)[1] .

كما اهتم جوستينيان ببناء الكنائس في كل مدن المقاطعة الإفريقية فقد بنى حسب بروكوب كنيسة في قلعة حيدرة وكان الهدف من بنا قلعة حيدرة هومراقبة الطريق الرابط بين تبسة وقرطاج والطريق المؤدي إلى قلعة تالة (Thala) وحضر موت (سوسة)[2] وما كثرة الكنائس التي بناها الإمبراطور جوستينيان إلا دليل علي نية نشر الديانة المسيحية في المنطقة أي أن الحملة البيزنطية على الشمال الإفريقي كان الهدف منها اقتصادي ديني.

خاتمة :

وفي الأخير يمكن القول أن الكنيسة المسيحية الكاثوليكية لم تعرف أي سلام من طرف رجال الدين الأريوسيين ولا من السلطة الوندالية منذ بداية الاحتلال الوندالي في شمال إفريقيا إلى غاية دخول البيزنطيين واحتلال المنطقة، ورغم كل الصعوبات والعراقيل التي عرفتها الكنيسة الإفريقية إلا أنها بقيت تصارع ولم ترضخ للوندال ولم يستبدل رجال الدين الأفارقة دينهم بالديانة الأريوسية التي فرضت عليهم في كثير من الأحيان قهرا.

كما كان الكنيسة الإفريقية أهمية بالغة في الحفاظ على الأفكار المسيحية والديانة الكاثوليكية طيلة الفترة الوندالية إلى أن رأت النور وعرفت الأمن والاستقرار مع نهاية الاحتلال الوندالي وبداية الاحتلال البيزنطي طيلة فترة حكم الإمبراطور جوستنيان (534م-565م) والذي سعى بكل ما اوتي من قوة إلى نشر الديانة المسيحية في الشمال الإفريقي القديم.

لا تختلف الإدارة الدينية البيزنطية في شمال إفريقيا – حسب ما تبينه لنا المصادر– عن باقي الكنائس البيزنطية الأخرى في المقاطعات الشرقية، حيث أعطى الإمبراطور جوستنيان أهمية كبيرة لرجال الدين وللكنائس من حيث البناء والإدارة الكنسية لكونها كانت تلعب دورين ديني واقتصادي، الدور الديني والدور الإداري المدني ذلك بإرساء الأمن والاستقرار وتنظيم مداخيل الكنيسة وجمع الضرائب .

كما كان للكنيسة الإفريقية مكانة ودور كبيرين لا يمكن إغفالهما في العالم المسيحي في العهد البيزنطي، ومما يدل على ذلك الموقف الراسخ لرجال الدين في شمال إفريقيا وعدم الرضوخ للأحكام الدينية التي تصدر من الكنيسة البيزنطية أوكنيسة روما إذا لم تكن قرارات صائبة .

أثبتت الكنيسة الإفريقية استقلاليتها من خلال الحكم المجحف الذي أصدره الإمبراطور جوستينيان وصادق عليه البابا فيجيل في إدانة ثلاثة من رجال الدين من مريدي المذهب النستوري، حيث وقفت بذلك كنيسة إفريقيا في وجه الإمبراطور ولم تقبل التوقيع على قرار الإدانة وأصدرت مرسوما تدين فيه البابا نفسه بسبب الموقف الذي اتخذه ووقوفه إلى جانب قرار الإمبراطور، رغم انه يمثل أعلى سلطة دينية في الهرم المسيحي الكنسي الأمر الذي يؤكد استقلالية وقوة الكنيسة الإفريقية في اتخاذ قراراتها بعيدا عن سلطة الإمبراطور وسلطة الكنيسة البيزنطية المركزية.

---

[3]-Audollente. A, op-cit, p211-212

1- Duval. D , Les églises d'Haidra III, 1971,p141.

8. قائمة المصادر والمراجع:

- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية.

- محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع ميلادي، الجزائر،1984.

- يوسف عيبش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2006-2007م .

-نعيم فرح، تاريخ بيزنطة، ج1،دمشق،1978.

- Audollente. A, La diffusion du christianisme en Afrique au sud des territoires soumis à Rome après le 5ème siècle , 1942.
- Cie de Jusus, , Souvenir de l'ancienne église d'Afrique, paris,1862.
- Devresse.R, l'Eglise d'Afrique durant l'occupation byzantine, paris, 1940.
- Durliat.J, , _L'Administration religieuse du diocèse byzantin d'Afrique 533-709, Toulouse, 1984.
- Duval. D , Les églises d'haidra III,1971.
- fournel. H, les berbères. Études sur la conquête de l'Afrique par les arabes, d'apres les textes arabes imprimés, imprimes nationale, vols I, paris, 1877.
- Gsell.st, L'Algérie dans l'antiquité, Alger, 1903.
- Janon.M, L'Aurès au 6ème siècle. Note sur le récit de Procope, antiquité africaines ,T15,1980,pp345-351.
- Jarry.J , Hérésies et faction dans l'empire byzantin du 4èmeau 7ème siècle, Le Caire, 1968.
- Lancel. S, , Victor de Vita témoin et chroniqueur des année noire de l'Afrique romaine au 5 ème siècle, 2000.
- Mercier. E, , Histoire de l'Afrique septentrionale, T1, Paris, 1888
- Modéran .y, Un guerre de religion, 2003.
- Modéran. Y, L'Afrique et la persécution vandales éd errance, Arles,2014.
- Modéran.y, Les Maures et L'Afrique Romaine (4ème -7ème siècle),éd EFR, Paris,2003
- Modéran.y, L'Afrique vandale byzantine, T XI, revue international d'histoire et d'archéologie (4ème-8ème siècle), France, 2003.
- Mourret.F, , l'Église et le monde barbare, Paris,1931.
- Pargoire .le R.P.J, L'Église byzantine de 527 à 847, paris, 1905.